سليمان العيسى

فى ديوانه « مع الفجر »

للأستاذ أحمد الفخرى

هذا البلبل الصداح فى جنائن الهوى يشدو تارة ويشكو طورا ، ولكنه فى كلتا الحالين لا يستطيع إلا أن (يغنى)

أتلك الأيام أسحق عمرى وأغنى ألحانى المفتونه

وهو يذكر بالخير جميع الناس ، حتى أولئك الذين التفوا حوله يوم أن ابتسمت له الحياة ، فأخلص لهم ، ثم تنكروا له وانفضوا من حوله عندما تنكرت له ، فهو متسامح أبدا لا يعرف قلبه البغضاء ، يتجلى ذلك فى قوله :

أيها الراحلون عنى رويدا فمن الهجر ما يكون حراما
كنت يوما وكنتمو ثم شئتم ما أرانى قبل الختام الختاما
لم يعد لى من حبكم غير أحلام سداها يشتت الأحلاما
ذكريات أبكى لها وأغنى وهى لى بعدكم هوى وندامى
سوف أحيا لكم فإن مت يوما فاحفظونى فقد حفظت الزماما

فبوركت يا صالح إنك فنان ملهم . .

لقد عشت مخلصا لفنك كل الإخلاص ، وفيا له كل الوفاء . . فى سبيل الله تلك النفس الطاهرة الكريمة التى ما حملت فى حياتها حقدا لإنسان . . ويا دولة القريض العزاء

أخى . . عزيز على أن أكتب فى يوم ذكراك ، وقد كنت أود أن أكتب فى يوم زفافك ولكن . . ولكن هكذا شاءت الأقدار . . على أن مما يعزينى أن شعرك سيظل خالدا على ممر الأيام ، ينير الطريق للمدلجين الحائرين

أخى . . طبت فى مثواك ، وسقى الله ثراك ، وسلام عليك فى الخالدين

محمد صبرى على سليم

ألحان الحياة ، وما الحياة إن لم تكن نشوة حب ، وخفقة قلب ، أو لوعة تبسمها اللهفة إلى تلك النشوة ، والحنين إلى ذلك الخفقان ؟

أنا أهوى الألحان نبض حياة
ودموعاً ... طروبة العبرات . .
وجراحاً . . . تلف بالبسمات
لا نواحا ميتا . . . على أموات
لا عيوناً تسيل فوق الرفات
أنا أهوى على رنينك عودى
أن أحس اختلاجة الجلمود

* * *

ولو شئت أن أطوف بك فى رياض هذا الهوى — رغم صغر حجم الديوان — لطال بنا الطاف ولتحيرت والله أين أقف بك ، ولكن حسبنا هذه الباقة ففيها من الشذى والحسن مايد لك على نضارة رفيقاتها وجمالهن . ولقد رأيت معى كيف نسقها صاحبها وكيف رسم فيها من (الحضرى) العف صورة لأنيل العواطف وأرقها وأعنفها وأوسعها حتى لكأن الكون كله محب وحبيب ...

وهذه سمة الشاعر العبقرى الذى يتصل فى وجدانه بأرحب ما فى العالم ويحلق بخياله إلى أعلى ما فى السموات ، ينهل من معين جمالها ويرشف من خمر سنائها ويبادلها حبا بحب ، فيسكب عليها من فؤاده ما ينطق الجامد منها حتى لكأن هذا الوجود كله قلب ينبض وكبد تهفو وعاطفة تتأجج ، وهو يجيد تصوير الطبيعة ولكن لا بالألفاظ الجوفاء والصور الجامدة وإنما هى فى ريشته إنسان يحس ويحب ، ويسعد ويتألم .. وستخلد الطبيعة وستخلد معها صورها الرائعة هذه ..

أنشد معى هذه الأبيات :

الصخرة الغرقى بأحلامها تحس مثلى وحدة قاتله
هذى خطانا لم يزل وقعها وشوشة فى سمعها ماثله
تسألنى الصخرة باطفلتى عنك وترتد معى ذاهله

* * *

ألم نكن نرسو على شطها طفلين مثل النغم الشارد

فى قبلة حالة إن أضع وإن تضيعى فعلى ساعدى
تبارك الحب فكم أرعشت يمناه .. قلب الحجر الجامد . .

* * *

واسمعه يرثى العندليب ويشكو مع الروض فقدانه . .

الوردة الحمراء... ياطائرى تشكو إلى الأنسام أشواقها
عاشت على ترجيعك الساحر قد فتحت للنور أحداقها
تلك شظايا قلبك الشاعر تخضب بالحمرة أوراقها
على دم المبدع والثائر تركز أوراد الربى ساقها

* * *

سلها أتحلو رقصة أو يطيب بعدك لحن للهوى والنسيب ؟
ستهمس الوردة : أين الحبيب ويهتف الغصن وما من مجيب..
ماضر لو غنيت حتى المغيب ياشاعر الأطيار ياعندليب ؟

* * *

كنت إذا ما الفجر لف الظلام بالشفق الوردى . . فوق الربى
رقرقت فى سمع الزهور النيام من اللحون .. المعجب المطربا
فاستيقظ الوجد ، وأج الغرام فى كل قلب نابض بالصبا
أين الأغاريد وأين الهيام إنى أرى روض الهوى مجدبا

* * *

أعد إلى هذا الوجود الكئيب بنغمة ، برد الشباب القشيب
ماحطمت لغز الوجود الرهيب إلا يد الفنان ، ياعندليب
ماضر لو غنيت حتى المغيب ؟

هذا هو حب سليمان ، وهذا هو غزله . نفس مرهفة الشعور ، وعواطف كريمة يصوغها بأرق أسلوب وأمتنه ، وذلك من الصعوبة بمكان ! إذ لا تكاد تتيسر هذه السلاسة وهذه العذوبة فى هذه القوة إلا للقليل من كبار الشعراء ...

وأما المعانى والصور الفنية والتجارب النفسية فما إخالك إلا معى فى الإعجاب بهذا الخيال الخلاق الذى صورها فأحسن تصويرها . ولكأنه والله حين يستعمل الكلمة يخلق لها معنى جديدا أخاذا ، يزيده روعة هذا الجرس الموسيقى الساحر ، وهو بحق من أكثر الأدباء سيطرة على اللغة وقدرة على التلاعب بالألفاظ ، حتى لكأن اللغة — كما يعبرون — قد أسلمته قيادها فلحنها أنغاما طروبة أفتن ما تكون فى (موشحاته) المرقصة التى انفرد بها وحقق للأندلسيين ما كانوا يرنون إليه . . . ولا حاجة بنا إلى الاستشهاد فى ما عرضنا الكفاية . ولنختتم حديثنا عن هذا (الغرض) بهاتين الصورتين القريبتين البعيدتين لندرك كيف تمر الحقائق الجامحة بخيال الشاعر فيخرجها حية ناضرة مفعمة بالحرارة ، مترعة بالظرافة الخفيفة الفطرية التى لم تستطع تلك العواطف الصاخبة رغم تأججها ، أن تخفى حلاوتها ومرحها : —

أين حقل مائج الزهر طروب تتخطاه وقد مال الغروب ؟
ونسيم الريف مغناج لعوب يلمس الغيمات لمساً فتذوب !
طفرت بين الشجيرات القلوب
وانبرت تملى على الزهر كتابا من سرور . . وهو يفتر جوابا

* * *

حسناء .. إن تبعدى عنى فما غربا صوت طروب ، وثغر باسم ، وصبا
وخفة من فؤادى .. خلتها لعبا حتى إذا أفهمتنى أنها السببا
أيقنت أن الذى غالبته غلبا !؟

* * *

وأما المضمار الواسع الثانى ، والذى استأثر بأكثر اهتمام شاعرنا الفتى فهو مضمار البطولة ، مضمار الوطنية الشبوبة

صبى صغير ، يرتع ويلعب على ساحل الأبيض المتوسط ، تداعبه الأمواج ، وتداعبه النسمات ، ثم لا يلبث فجأة أن يجد الغاصب المعتسف ينهب وطنه ، ويستأثر بملاعب صباه ، ويشرد أهله ويسلبهم أملاكهم . . ويتشرد هذا الصبى مع المشردين .. ويترك وطنه مع اللاجئين .. وفى فؤاده نار .. وفى عينيه دمعة أبت عليها حرارة الزفير أن تسيل .. هذا الصبى الملتاع يشب وتشب معه مآسى وطنه فهو أينما تلفت فعلى لواء مسلوب أو وطن موطوء ، وهو أين ألقى بطرفه — فعلى نصل تغذيه (صلة) رقطاء

ليت شعرى بعد هذا كيف تخبو هذه الشعلة فى فؤاده وكيف يلطف هذا السعير فى عروقه ؟ لقد سهرته النكبات وأذابته النوائب ، وصاغته الأعاصير نشيدا عاصفا ولحنا ملتهبا ، يهتف بالضاد ليله ونهاره ، ولا يعرف ملالا . . ولا يكاد يشغله عن مآسيه فيه مؤانس حتى ولو كان حبيبه ومالك قلبه

هذا هواى . ولن أفنى به شغفا مهما استبد وما فى دمى عصفا
قد كان حسبى . لولا أن لى هدفا عاهدت يوما عليه النبل والشرفا
حسناء . . قد سارت الدنيا وقد وقفا . .
شعبى تمزقه (أطماعهم) شعبا . . فهل تلومين دا روح إذا غضبا ؟

* * *

فما هو إلا زفرة موتور يريد الانتقام والإثئار ، وهو لو حبسها لأصلته سعيرا : —

ما أردت القريض ، إن هى إلا عاصفات جنت على فيثارى
ثورة . . لو حبست عودى عنها حطمت أضلعى مع الأوتار . .

* * *

وأين لليأس فى هذا القلب الثائر مكان ؟ وهو كلما اشتدت به الزعازع فحسبه أن يلقى نظرة على الماضى وأن ينصت إلى دمه الذى ليتفجر بركانا يكتسح اليأس ويضئ أملا . .

لفتة ياخيال . . نستلهم الماضى ونسكر على صدى التذكار
لفتة نشهد (الجزيرة) نشوى من سلاف الرسالة المعطار

* * *

أنفضى الموت . . أنت أخصب من أن
تقفرى من مواكب الأحرار . . .
وافتحى للصباح جفنك يا صخراء . .
هذى زماجر « الثوار » . . .
سيعود الوجود يوما إلى الرشد على صوت لجك الهدار . . .

* * *

وسيظل يهزج حتى تتحرك الصحراء وينتفض الرمل : —

وأهزج ياصحراء حتى تحركى وحتى تهز الليل أنشودتى البكر
كفى ألما أن تحمل القيد أمة ولا يشتكى سوط العذاب بها حر
قوافل تمضى من مهازيل أمتى يسيرها ناب ، ويحدوبها ظفر . .
يمر بنا التاريخ غضبان ساخرا ! ويمضى بنوه خاطفين ، وننجر
قوافل من بيض العبيد كأنما على روحهم قفل ، وفى صمتهم وقر
إذا أنت ناشدت المروءة فيهمو تملكهم من طيفك الرعب والذعر

* * *

سأهزج يا صحراء ولتمض صيحتى
إلى كل رمس بات يرقبه الحشر . . .
أينمض كف الموت جفنى وليس فى
بلادى شبر لم تحمره أو متر ؟

* * *

وأى لوعة مشبوبة فى هذا البيت الأخير ؟ ولكنها ما إن تشتكى حتى يهدهدها الأمل ويطمئنها الشباب :

شباب يغذيهم هوى ، وعقيدة ويجمعهم هم ، ويخفرهم ثأر
لنا المجد ، إن نرقد عيون حماته فمن دم أحفاد الحماة له مهر
إذا لم نعش للرائعات من العلى فلا خط فى سفر الحياة لنا سطر
أرى وطن الأحرار قد طال ليله . .
غدا يشرق الصبحان : ألبعث والفجر

البقية فى العدد القادم

أحمد الفخرى

دفاع عن البلاغة

للأستاذ أحمد حسن الزيات

كتاب يعرض قضية البلاغة العربية أجمل معرض ويدافع عنها أبلغ دفاع فيذكر أسباب التنكر للبلاغة ، والعلاقة بين الطبع والصنعة ، وحد البلاغة ، وآلة البلاغة ... الخ

من فصوله المبتكرة : الذوق ، والأسلوب ، والمذهب الكتابى المعاصر وزعماؤه وأتباعه ، ودعاة العامية ، ودعاة الرمزية ، وموقف البلاغة من هؤلاء وأولئك ... الخ

يقع فى ١٩٤ صفحة وثمنه خمسة عشر قرشاً

عدا أجرة البريد